النضال السّياسي للمرأة الفلسطينيّة المقاومة في رواية "ربيع حار" لِسحر خليفة " -دراسة في الصّوت ووجهات النّظر-

The Political Struggle of the Resilient Palestinian Woman in the Novel "Rabi Har" by Sahar Khalifeh: - A Study of Voice and Perspectives -

طالبة الدكتوراه: أسماء منصوري
الأستاذة الدكتورة: حياة أم السعد

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الجزائر2 - أبو القاسم سعد الله

مخبر الترجمة والمصطلح
asmambi.1993@gmail.com
oumssadhayet@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2025/01/22 تاريخ القبول: 2026/09/03 تاريخ النشر: 2026/09/15

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثيّة إلى دراسة قدرة المرأة العربيّة الفلسطينيّة على الصّمـــــود في مواجهة وحشيّة الاِحتلال الصّهيوني، وتسلّط الضّوء على الإرث الغنيّ للنّضال الفلسطينيّ والتّضحيات التي قدّمها شعبه في سعيه إلى التّحرير. وعلى مدار هذه الرحلة، اِحتضنت أعـداد لا حصر لها من النّساء المناضلات اللّواتي تحدّين التناقضات وقاومن القمع المستبد، ويرتبط هذا النّضال الدّائم بِاستعادة الهويّة الوطنيّة المطموسة، واستحضار الذّاكرة الجماعيّة المثّقلة بندوب المعاناة. وفي هذا السّياق برزت المرأة الفلسطينيّة كرمز قويّ يعادل الوطن، تُقدّم نفسها بالتّضحيّـة، وتستمرّ في تحدّي الظروف القمعية التي فرضتها عليها وحشية الاِستيطان وقساوة الحياة.

الكلمات المفتاحية: المرأة الفلسطينيّة، الهوية والاِنتماء، الصّوت السّردي، المقاومة النسويّة، ربيع حار، سحر خليفة.

Abstract:

This paper aims to examine the resilience of Palestinian Arab women in confronting the brutality of colonial occupation. It highlights the rich legacy of the Palestinian struggle and the sacrifices made by its people in their pursuit of liberation. Throughout this journey, countless women have embraced martyrdom, challenging contradictions and resisting oppression. This enduring struggle is linked to the restoration of an obliterated national identity obscured and summoning the collective memory heavy with the scars of suffering.

In this context, the Palestinian woman has emerged as a powerful symbol of the homeland, offering herself in sacrifice; she continues to defy the oppressive conditions imposed upon her by the harsh realities of life.

Keywords: Palestinian women, identity and belonging, narrative voice,

feminist resistance. Hot spring . sahar khalifa.

مقدمة:

إنّ أهم ما سطّره العدّو الصّهيوني في مشروعه الإرهابي: طمس هويّة الفلسطيني وانتمائه اِنطلاقاً من تهجيره وتشتيته، ورسم معالم المعاناة في قاموسه من تعذيب وتشريد وقتل وإهانات. لكن معاناة الفلسطيني لم تبق أسيرة تحت سيطرة العدّو الصّهيوني بل تحرّرت بصوت مسموع إلى العالم، بفضل كُتّاب حاولوا تجسيد بشاعة الاِحتلال الصّهيوني وجرائمه الشنيعة في حق الفلسطينيين، بالإضافة إلى الصّوت النّسوي الفلسطيني التّحرري الذي رفع مشعل القضيّة وخلّد بطولات الأحرار عبر صفحات التّاريخ، وهذا بالخروج عن صمتهن وكسر الحواجز التي كبّلت أيديهن بالتّنديد بالقضيّة واسترجاع جميع الحُقوق المنهوبة وأوّل حق هو: حق الهويّة والانتماء الفلسطيني.

ومن بين الكاتبات اللّاتي جسّدن لنا هذا الواقع المأساوي الذي يُسطّره الظلم وعدم المساواة ،الروائيّة الفلسطينيّة "سحر خليفة" في روايتها "ربيع حار" كلوحة فنيّة تاريخيّة يطبعها التّاريخ الأليم والذّاكرة المعطوبة والأصوات الموجوعة تحت وطأة الزّمن المقيّد من قِبل العدّو الصّهيوني، وهذا لرصد الأحداث التّاريخية بمراحلها المتعدّدة في فلسطين المحتلة من قِبَل شخصيات جسدّت الواقع الفلسطيني الأليم بضعفه ونضاله اليائس من أجل الحرّية والاِستقلال اِنطلاقاً من خلفية العلميات الاِستشهاديّة والمقاومة المسلّحة.

نقلت لنا الروائيّة "سحر خليفة" صوت الفلسطيني المقموع والصّراعات الدّاخلية التي يتخبّط فيها مساهماً بكلّ الطّرق ليُخرج العدّو من أرضه ولم يقتصر الأمر على الرّجل الفلسطيني بل كان للمرأة الفلسطينيّة دور فعّال في إحياء المقاومة والنّضال ورسم معالم الكفاح التحرّري فالنّضال السّياسي[1] الذي تبنّته كان قوّة ضاربة في صفوف العدّو الصّهيوني كونها كانت حاملة

للسلاح نفذّت عمليّاتها الفدائيّة، وتسهر على ترسيخ الهويّة الوطنيّة بتشبّثها بأرضها رغم جرافات العدّو التي اقتلعت أحلامها وسعادتها واستقرارها.

اِلتزمت "سحر خليفة" في مشروعها الأدبي التّسلّح بالسّرد والتّاريخ وصولاً إلى الذّاكرة كبؤرة مركزية ترسم من خلالها صورة الفلسطينيّ، حياته وما يعانيه من طمس وتمزّق، ويكون هذا على شكل "سرديّة مضادّة ذات قوّة تقويضيّة عظيمة"[2].

يحثّنا "إدوارد سعيد" على أهمّية ثقافة المقاومة ككفاح ونضال وتمرّد ضدّ المستعمر. فعلى الروائي أن يناضل سرديّاً بإعطاء الفلسطيني اِسماً ووطناً وهويّة وثقافة وتاريخاً.

مع تأزّم القضيّة الفلسطينيّة وجد الكثير من الأدباء والكُتّاب القلم ليسمع صوتهم ونداؤهم إلى جميع أنحاء العالم، عالم يستطيع بهذه الأقلام أن يُعرّف حقيقة ما يعانيه الشّعب الفلسطينيّ، أنّه شعبٌ مقاومٌ بأبسط الوسائل وبمختلف الفئات العمريّة، فعلى هذا النّحو ذهبت العديد من الأصوات الروائيّة النسويّـــة أمثال: "سحر خليفة" وَ"ليانة بدرَ وَ"رضوى عاشور"... إلى كتابة رواية فلسطينيّة تُوصل حقائق ووقائع هذا الشّعب المحتلّ تروي عن مساره، كيف هو؟ وأين هو؟ وإلى أين يتّجه بجروحاته وآلامه ومقالاته التي تردّد كل يوم في الإذاعة والتلفزيون محاولين رفع الستار عن الوجه الحقيقي للعدو الصهيوني الذي ينادي بمنظمة الإنسانية المزعومة "مناداة للحرّية"، ويُخبئ لنا وجهه الحقيقي المليء بالظّلم والقهر والمكر والخداع والسّلب غير الأخلاقي.

أوّلاً: الكتابة النسائيّة القوميّة:

لقد بات التوقّف أمام الرواية النسائيّة القوميّة ومحاولة اِستقراء خطابها أمراً مهمّاً خصوصاً في الوضع الراهن الذي تشهده الدول العربية المقهورة، فهاته الروايات تكتسب قيمتها من منطلق الوعي بالتّجربة وارتباطها والتزامها بالتّعبير عن قضيّة قوميّة تمسّ الإنسانيّة والأنثويّة خاصّةً.

فالمرأة شريكة للرجل في الفكر والإبداع والمقاومة والبناء، تسهم في تحرير الوطن وتطوير المجتمع وترسيخ القيّم الحضاريّة والإسلاميّة، فتُحافظ على الهويّة الفلسطينيّة، وتُعزّز البناء المعرفي والحضاريّ والعالمي، حيث تنبّهت الرّواية الفلسطينيّة المُعاصـــرة للدور الذي تُمثّلـــه المـــرأة في مجتمعها من نضال وشجاعة وإرادة، كونها تحمل في طيّاتها رمزاً للمقاومة والكفاح.

ويُمثّل الأدب الروائي النسوي عالماً ضخماً وكبيراً، يجسّد عقل وفكر المرأة بإيديولوجيّاتها المختلفة وصوتها الرّافض للواقع المفروض عليها، وأهم ما ميّز هذه الساحة النسويّة هو صوت الروائيّة الفلسطينيّة "سحر خليفة" في روايتها "ربيع حار"،الذي قال فيها الناقد "مصطفى الضبع": "سيفُوتك الكثير إنْ اعتمدت أسلوب الفصل لا الوصـــل في قراءة أعمال الروائيّة "سحر خليفة" إنْ أنت قرأت أعمالها منفصلة كلّ عمل بِوصفه نصّاً لا علاقة له بما قبله وما بعده من النصوص ستفُوتك قراءة عالم تتعدّد أبعاده وتتواشج تفاصيله منطلق أو متوائماً مع وحدة الكون والاِرتباط

بين تفاصيل الوجود الإنساني الموزّع على روايات العشر، في تعاضدها لِرسم لوحة روائيّة يصعب التخلّي عن تفصيلة من تفاصيلها أو دلالة ممّا يمكن أن تطرحه من دلالات لك أن تقارب عالم "سحر خليفة" وفق عدد من المفردات المعبّرة عن اِنشغالاتها[3] الفكرية: المنفى الوطن، المرأة، الرجل، المقاومة، التاريخ والإنسان[4]".

ولهذا عُدَّ صوت سحر خليفة أهم صوت نسوي حمل مشعل المقاومة ورفض[5]الآخر الصهيوني وظلمه الكبير فهي واحدة من أهم الروائيّات العربيّات اللّائي عُرِفتْ أعمالهُنّ في كلّ العواصم العربية، بسبب الجدّية السديدة التي تميّزت بها رواياتها، والتزامها بِقضايا الواقع الفلسطيني وخاصّةً القضايا الاِجتماعيّة لأبناء وطنها.

1-صورة المرأة في الرّوايا الفلسطينيّة:

تنوّعت أدوار المرأة في الرّواية الفلسطينيّة تنوّعاً كبيراً ،حيث اتّخذت صُوراً مختلفة لكنّ الهدف واحد، هو تحرير هويّتها من يدّ العدّو الغاشم، فكانت المرأة والأمّ والزّوجة والجدّة، والأخت والمثقّفة، والعاملة، تُثبِت نفسها وسط ظلم الوسط المعيشي الذي يُحيط بها، فاتّخذت الوطن رمزاً لحياتها فإن لم تدافع بسلاحها دافعت بذاكرتها وذلك بسردها للحكايات المُعاشة، وما رأته عينها من مآسي ومجازر دمويّة مرعبة، وشهدت اِنتفاضات تحرّرية متنوّعة حيث "شاركت المرأة الفلسطينيّة في الثورات والاِنتفاضات الوطنيّة قبل عام 1948، إلّا أنّ دورها كان مقصـــوراً على تقديم حُليها وذهبها لشراء السّلاح كما أدّت أدوارا أخرى ثانويّة، كنقل المعلومات البسيطة أو إخفاء المجاهدين"[6].

يعكس هذا القول طبيعة المرحلة التاريخية التي عاشها المجتمع الفلسطيني قبل سنة 1948، حيث شاركت المرأة الفلسطينية في النّضال الوطني ضد الاحتلال، لكن مشاركتها كانت محدودة بسبب العادات الاجتماعية والظروف السياسية السائدة آنذاك. فقد ساهمت في دعم الثّورات والانتفاضات من خلال التّبرع بحليّها ومُمتلكاتها، من أجل شراء السّلاح وتمويل المجاهدين، وهو ما يدّل على وعيها الوطنيّ واستعدادها للتضحيّة من أجل القضيّة الفلسطينيّة.

ثمّ أخذ هذا الدّور ينمو ويتطوّر بفعل الظّروف التي عاشتها المرأة بعد النكبة، إلى أن اِنطلقت حركة التّحرير الوطني الفلسطيني عام 1965، التي شرعت أبـــوابها للمـــرأة لتنخرط في صفوفها، ولتُمارس دورها النّضالي على جميع المستويات الوطنيّة والثقافيّة والإعلاميّة والصحيّة... وتسهم مساهمة فعّالة، إلى جنب الرجل في صياغة مستقبل الوطن، فأثبتت كفاءة عالية في تحمّل مسؤولية النّضال، وعبّرت عن حيويّة المجتمع الفلسطيني، وقدرته على التحوّل الإيجابي تبعاً للظروف"[7].

يُبرز هذا القول التّحوّل العميق الذي عرفته مكانة المرأة الفلسطينيّة بعد النكبة، إذ لم تعد مجرد عنصر مساند للمقاومة، بل أصبحت شريكا أساسيا في مشروع التّحرّر الوطنيّ، فقد فرَضت ظُروف التّهجير واللجوء والاحتلال على المرأة الفلسطينيّة أن تتجاوز الأدوار التّقليدية المرتبطة بالمجال الأُسري، لتنخرط في مختلف ميادين العمل الوطنيّ والاجتماعيّ.

ثانياً: المرأة بين إرادة التّحرّرواستبداد المُستعمِر الصّهيوني:

كان التّعبير عن قضيّة الوطن والمرأة في كتابات الروائيات الفلسطينيات شغلهن الشّاغل بذات متألّمة وجريحة تبحث عن الخروج من المحـــن والمصائـــب. تقول "سحر خليفة" معبّرة عن المرأة الفلسطينيّة ووضعها المزري " لم أكن اِمــرأة واقعيّة أبداً، فمذ فتحت عيني على الدنيا وأنا أحسّ أنّ ثمّة خطأ ضخماً وكبيراً أكبر من استيعابي وطاقتي على الاِحتمال... ولهذا أصبت أكثر من غيري لأنّي غالباً ما كنت أطلق هذه القذائف وأنا أمام المرآة... وقد ظهـــر الهمّ الفلسطيني في غير موقع... ولا أدري كيف توصّلت إلى معرفة أنّ فلسطين هي بلدي.. وأنّ فلسطين ضاعت وأنّنا نمرّ بمأتم كبير ..."[8]

تُوفّر قضيّة فلسطين أرضيّة إبستمولوجيّة خصبة للأصوات النسويّة، فكانت "سحر خليفة" وفيّة لهذه القضيّة بكلّ جوارحها، حيث جسّدت ذلك في معظم رواياتها تحت ما يُعرف بـ "الروايّة العربيّة الفلسطينيّة القوميّة"، وأهم رواية مثّلت الأوضاع المأساويّة التي يعيشها الشعب الفلسطيني بِذاكرته الموجوعة وتاريخه المرير هي رواية "ربيع حار" لِسحر خليفة، إنّها ليست مجرّد ربيع حار بل هي بالفعل رحلة الصبر في ظلّ احتلال غاشم وأحداث مأساويّة صعبة رصدها قلم كاتبة مُبدعة متميّزة عاشت لِقضيّتها القوميّة والإنسانيّة.

تُجسّد المرأة الفلسطينية في رواية ربيع حار لسحر خليفة صورة رمزيّة عميقة إذ لا تظهر بوصفها شخصية ثانويّة بل بِاعتبارها محوراً أساسيّاً، يحمل أبعادا اجتماعيّة ونفسيّة وثقافيّة ووطنيّة، فقد استطاعت الروائيّة أن تجعل من المرأة مرآة تعكس معاناة المجتمع الفلسطينيّ وصموده في ظّل الاحتلال والظّروف القاسيّة، فعلى المستو ى النفسي تبدو المرأة الفلسطينيّة شخصية تعيش صراعاً داخليّاً بين الأمل والألم وبين الخوف والرغبة في الاِستمرار، فهي تتحمّل أعباء الفقد والقهر لكنّها في الوقت نفسه ،تمتلك قوة نفسيّة تجعلها قادرة على مُواجهة الانكسار وهذا نوع من المقاومة.

أمّا على المستو ى الاِجتماعي فقد قدّمت الرواية المرأة بوصفها عنصراً فاعلاً داخل المجتمع، فهي الأمّ والمربيّة والمناضلة التي تسهم في تماسك الأسرة والهويّة الجماعيّة، كما تكشف الرّواية عن القُيود الاجتماعية التي تُواجهها المرأة لكنّها تبُرز قدرتها على تجاوزها وإثبات حُضورها داخل فضاء المقاومة والحياة اليوميّة.

وفي البعد الثّقافي ترتبط المرأة الفلسطينية بالحفاظ على الذّاكرة والتُّراث، فهي الحاملة للعادات والتّقاليد واللغة والوعي الوطنيّ، ومن خلال حضورها تُؤكّد الرّواية أنها ليست مجرّد موروث بل وسيلة للحفاظ على الهويّة الفلسطينيّة في محاولات الطّمس والتّهميش، أمّا هويّتها المقاومة فتظهر من خلال تمسّكها بالأرض والانتماء ورفضها لِلاستسلام رغم الظّروف القاسيّة.

فالمرأة في الرواية ليست مجرد ضحيّة بل تتحوّل إلى رمز وطنيّ يعكس روح المقاومة الفلسطينيّة، حيث تتجسّد فيها معاني التّضحية والصّمود والدّفاع عن الكرامة والوطن، وعليه فإنّ صورة المرأة الفلسطينيّة في روايّة ربيع حار تتجاوز البعد الفردي لتُصبح رمزاً اجتماعيّاً وثقافيّاً ونفسيّاً ووطنيّاً. يُجسّد قوة الإنسان الفلسطينيّ وقُدرته للحفاظ على هويته ومقاوماته رغم كل أشكال المعاناة.

1- الصّوت السّردي النّسويّ في بيان أوجاع الذّاكرة:

تناولت الرّوائيّة سحر خليفة في روايتها "ربيع حار"، أحداثا من حياة الفلسطينيّين وأحلامهم وعذابهم وموتهم اليومي المكلّل بالعمليّات الإستشهاديّة، والهجوم المفاجئ من قِبل المستعمِر الصّهيوني، كما تتناول الرواية شخصيات متفاوتة الأعمار، فمنها من عاشت سنوات التشرّد الأولى بعد الأيّام الحلـوة التي سبقتها، ومنها ما من وُلد في مخيّمات بعد طـرد أهلـه من بيتهم وأرضهم، ومابرز أكثر الصّوت السّردي النّسوي ، ليسرد أوجاع الذّاكرة أمثال : سعاد (النّسوية المُتمردة) ولينة (النّموذج المثقّف والمنظم) والأمّ (حارسة البقاء)، ونوال(صوت الضّحيـة والمواجهـة)...إلخ، فهاهي أمّ سُعاد مثال المرأة المكافحة والصّامدة، التي واجهت الحصار وظلم الأعداء وصعوبة الفراق بِاستشهاد أبنائها.

"فهي صلبة وكذلك حنونة وسخية... وتحب الضحك وصوتها عال مثل المدفع ...ابتدأ الضرب فنادوهم بالسماعات: ياأهل نابلس استعدّوا، هجم اليهود، فضحكت أم سعاد وقالت للبنات: يا الله اشتغلوا، مالكم و اقفين؟ ...كانت تريد تسليم الشغل وقبض الثمن قبل بدء الهجوم... مذ فارقها وقبع في السجن صارت اِمرأة قوية... صاحت وشدّت الشعر ثمّ انتفضت وبدأت تعمل... تركض هنا، ثمّ تركض هناك، تمسّح لهذا، وترضع ذاك، وتعكز أمّه للحمام ثمّ سجن هو، وماتت أمّه، وراح الأولاد وبقيت هي، ولكن أقوى"[9].

يرسم هذا المقطع صراعاً مع الحياة ومقاومة الواقع المرير، واقع المرأة الفلسطينيّة المُقاومة، التي رفعت النّضال بيديها مُكافحة جرم العدو الصّهيوني وطُغيانه الذي دمرّ النُّفوس وشَوّهها، فهو المسؤول الأوّل عن أعمال العنف والفساد، فالذّاكرة النّسوية في الرّواية مرتبطة بالمكان (السّجن، المطبخ، الحمام، البيت...) ممّا يجعلها عبارة عن أرشيف يُترجم المعاناة إلى قوة وصمود وهذا ما يدخل تحت اِسم: المقاومة.

وأم سعاد مثال حيّ عن الصُّمود، كأنّها كتلة صلبة لا تتأثر بالانكسار وإنّما تتكوّن شيئاً فشيئاً، بزيادة قوّتها وشدّتها وهذا بالنهوض على أنقاض الزمن الماضي الأليم، بأحداثه وبناء الحاضر المُعاش بتطوراته واختلافاته، اِنطلاقاً من الذّاكرة الموجوعة الناتجة عن أحداث عنيفة كسَّرت وألهبت قَلْب الفلسطينيّين.

يُمثّل صوت سعاد الجيل الجديد الذي يسعى للتمرّد على الظّلم والاِضطهاد، فهي تحمل ذاكرة مُحملّة بالأوجاع والفقر والحِرمان، وصوتها يمثّل الرغبة في الاِنسلاخ عن واقع بائس، فهي ترفض أن تكون ضحيّة صامتة، فصوتها الذي يمثّل صوت الشّخصيات النسويّة الأخرى، يحمل الاِحتجاج على واقع يُطالبها بالتّضحية والصبر ويرفض الهامش ليصّل إلى المواجهة، وهذا ما تخلّل أجزاء الرّواية شيئاً فشيئاً، تلك الطالبة الجامعية اِبنة السّجين التي قاومت الصّعاب وتفوّقت في دراستها من أجل رُقيّ بلدها، وإخراج عائلتها من المحن شاركت في إسعاف الجرحى وإعداد الطعام لهم عند اجتياح نابلس، تكتب في مفكّرتها وتجعل القلم سلاحاً مُقاوماً تُخلّد به ذاكرة الفلسطينيّ قائلة:

"جاءوا وهم يرفعون اللافتات ويردّدون الهتفات. أطلق الجنود النار فوق رؤوسهم كي يرتدعوا، لكنّهم لم يرتدعوا وواصلوا تقدّمهم في الساحة... هذا ما كتبتُ في مفكرتي حتى لا أفقد ذاكرتي وتعود إلى الغيبوبة، فهل أحيا يوماً كي أنشر؟... حياة الجرذان والخنازير أفضل منّا، لكن الصبر مفتاح الفرج... آه يا ستي! توقف القصف وابتدأ القلق. ماذا ينوون؟ متى يضربون؟ من أيّ اتجاه؟ كيف نقاوم وبأيّ سلاح؟ وبلا مؤونة، وأخيراً قلنا سنجازف... جلسنا أنا وستي على السرير قبل ساعات، قبل أيّام، لا أتذكر... ثمّ تبخّرت، وغاص العقل في غيبوبة ثمّ تذكّرت، وابتدأ الهجوم"[10].

طغى الصّوت النّسوي على أجزاء الرّواية، في بناء الذّاكرة الفلسطينيّة وتاريخها الأليم باسترجاع للماضي وتأمّل بمستقبل زاهر، حيث تتنوّع الأسئلة في ذهن سعاد عن كيفية المقاومة في ظّل الظّلم والعصيان لكن تتدارك الأمر بسرعة، وتؤكّد على أنّ الصّبر مفتاح الفرج، وهذا بتمثيلها للصوت النّسوي الذي يرفض إلغاء الأنوثة كامرأة تحت مُبررات الحرب، ممّا يجعلنا نصنفه على أنّه : مقاومة نفسيّة منبعثة من صمود نسويّ داخلي، وهذا خَلق ذاكــرة للجمال في واقع لا ينتج إلاّ القبح والدّمار نتيجة تسلّط العدو الصهيوني الغاشم، حيث تتنوع المقاومة في كثير من المواطن في أجزاء الرواية، فلا تقتصر على السّلاح فقط، وإنّما بإثبات الذّات والوجود بذاكرتنا، فالحفر في الذاكرة هو وعي بقوّة التاريخ ونضال الأبطال، "فهي الحافظة الأولى للتاريخ... وحوض السمك الذي يأخذ منه المؤرّخون"[11].

تحمل رواية "ربيع حار" فكرة أنّ الإنسان يموت ليعيش، يُقتل ليعيش ويموت ليعيش أي أنّ الموت والحياة لا ينفصلان حين نفكّر في الحرّية، هذا هو المبدأ الذي تبناه الفلسطيني إثر واقعه المزري وقساوة الحياة متجسّدة في هذا المشهد المرعب على لسان السّارد حينما قال:

"كانت مسيرة مثالية ثمّ انتفضت و اندلع الرّصاص فأخذ يصوّر صوّر شباباً يتطايرون فوق الأشجار وتحت الأشجار ويقذفون الحجارة وقناني الزجاج و أفراد الجيش في أثرهم ككلاب الصيد، واحد يقفز من فوق السور وآخر يزحف تحت الدواليب وثالث يتعمشق دبابة وعشرة وعشرون هنا وهناك مثل العفاريت بينهم أطفال لم يتعدوا الِابتدائية ومازالت حقائبهم على الأكتاف... لطمت فلاحة وهي تصيح "الزيتونات" ياشقى عمرك يا صبحية ! فدفعها الجندي عن الشجرة ومشت جر افة لتقلعها من عمق الجذر، الجر افات مثل الدناصير لها أفواه كالحيتان تلتهم الشجر والحجر والصخر وبطون الأرض... في هذا الجو لا فيه بيئة ولا فيه أوزون ولا فيه إنسان فيه جر افات تجرف ما بقي من الصّحة وبقايا العقل، وإن ضاع العقل ماذا يبقى؟ يبقى التاريخ؟"[12]

يحمل هذا المقطع ذواتا مدرِكة لواقعها الأليم ،الذي يمتلئ بالحسرة والقسوة فهاهو السّارد يصّور لنا مقطعاً من الحياة اليوميّة للفلسطينيّين، وركزّ على فئة الأطفال وهم يقاومون العدّو الصّهيوني بالحجارة أمام الدبّابات القاتلة السّالبة للبراءة والحياة، كما يذهب بنا إلى "صوت الفلاحة" التي كانت تدافع عن أرضها، فأشجار الزيتون تمثل هويّة وانتماء الفلسطينيّين، فاقتلاعها بالجرّافة هو طمس للهويّة تأخذ معها الروح وتجعلها معلّقة حزينة فلا وجود بدون انتماء، والتاريخ هو من يُوثّق لنا اللحظات بِانتصاراتها وبهزيمتها.

تأخذنا أحداث الرواية إلى أصوات متألّمة تناشد بالِاستقلال وترفض جرافات العدو حيث:

"سُجن أحمد حينما تسلّل إلى المستوطنة، ويخرج قاسياً ناقماً، أمّا أخوه مجيد فاتُّهِم زوراً بِقتل أحد وجهاء المنطقة وكان من العملاء، فهرب والتجأ إلى المقاومين وصار واحداً منهم أمّا اِبنة القتيل لورا فبقيت على حبّها لِمجيد حين دعته سعاد لِتسليـــم نفســـه لأنّه بريئ وإلى الر أفة بِأهله فلا يبقى سائراً إلى الموت وحثّته على التوقّف عن القسوة قال إنّ ذلك لن ينفع وإنّ القسوة وسيلة حماية، هذا العدو مثل الآلة، جرّ افـــة تجرف وما تخلّي ولا عود أخضر والناس قدّامها زي النمل... نظرت إليه سعاد وهمست متسائلة بِحزن "هذا العدو مثل الآلة وها نحن نصير مثل الآلة، أهناك أمل؟"[13]

يبرز صوت سعاد كشخصيّة رئيسيّة مبئرة مدركة لِجميع الأحداث المأساويّة التي تحيط بها بِصفة قويّة، تحاول لملمة جراحها بِرفض العدو الذي طمس هويّتها ونزع حُلُمها الذي كانت تحلم بِتحقيقه، وهذا بعدما اعتقلت القوّات الصهيونيّة والدها، فبقيت مع أمّها وحيدتين تصارعان

حياة الفقر والضياع لِوحدهما إلى أن انتفضت أم سعاد وتغلّبت على الخوف، وتمكّنت من إنشاء مشغل خياطة في البيت نفسه بدءًا من ماكينة صغيرة، إلى أن أصبح لديها عدّة ماكينات ومجموعة من السيّدات يشتغلن عنـــدها ويحصلـــن من المال أجراً لهُنّ بما تبيع "أمّ سعاد" من إنتاجهنّ، وبما يكفيهنّ ويمنع عنهنّ العوز والحاجة في غياب رجالهنّ وأزواجهنّ وآبائهنّ.

تجري أحداث الرواية بِبدء الهجوم الواسع على نابلس وَ"أمّ سعاد" في ذروة نجاحها المهني إنّ هذه السيّدة الآن ليست هي ذاتها تلك المرأة القديمة الضعيفة التي كانت ترتجف عند كلّ اجتياح أو مداهمة عابرة، صارت قويّة وقادرة على إعالة نفسها وابنتها وعائلات أخرى كثيرة أيضاً تصدّت الواقع المرير بِعزيمة وإرادة، فانتِفاضتها الذاتية الجديدة تحمل أصوات النساء الفلسطينيّات المقاومات اللّاتي لا يرضخن للذُّلّ والمهانة، بل للتصدّي والإستمرار.

فهذا الإثبات الوجودي للنساء ماهو إلّا حقّ من حقوق المرأة في التحّر الإجتماعي الكامل وفي الإستقلال عن القيود الاستعمارية القاهرة.

تجلّت في رواية "ربيع حار" لِسحر خليفة سمتي القوّة والصمود للمرأة الفلسطينيّة، حيث جسدت الأصوات النسوية صورة الواقع الأليم لشعبها، وأهمّ من رفعت مشعل المقاومة "أمّ سعاد"، حينما ظلّت ثابتة لم تخش جبروت العدّو الصهيوني وهو يهجم على منطقتهم، ويظهر جليّاً في هذا الشّاهد الآتي "فنادوهم بالسمّاعات يا أهل نابلس اِستعدُّوا، هجم اليهود، فضحكت أمّ سعاد قالت للبنات يالله اِشتغلـوا ما لكم واقفين؟ كانت تريد تسليم الشغل وقبض الثمن قبل بدء الهجوم، فهي المسؤولة عن فتح الباب، وهي المسؤولة عن المشغل وأجور البنات، منذ فارقها وقيع في السجن، صارت اِمرأة قويّة ... وجاء اليهود وحموها..."[14].

وجدت الشّخصيات في رواية "ربيع حار" مجالاً تحكي بِنفسها وتقدّم وجهة نظرها في بعض المواقف، وبِطبيعة الحال السارد هو من يُقدّم الرخصة للحكي وتقديم أقوالها، ومنه فهو يلعب دور المتفرّج للشخصيات وهي تسرد أقوالها فالسارد وجدناه حاضراً في جميع فصول الرواية كمُنظّم للسرد ومُنسّق له لكنّنا نلمس غيابه في بعض الأحداث الروائية لِيترك المجال للأصوات الأخرى، من أجل الإدلاء بِوجهات نظرها الخاصّة، وأهم هذه الأصوات، نجد الأصوات النسوية حاضرة بِقوّة(سعاد، أمّ سعاد وَأمّ الوشمي...) فهذه الشخصيات تعتبر محوريّة في الرواية وإن كان دور بعضها أعمق من دور الآخر.

طغى على أجزاء الرواية "السارد المتباين الحكائي[15] وذلك حينما يكـــون السارد غائـــباً عن عالم الحكاية لِيترك المجال أمام الأصوات الأخرى، وهذا ما يجعل المتلقّي يعيش أحداثاً واقعيّة، واقع القتل والتعذيب والطمس الهويّاتي واللجوء والشتات والمجازر الدمويّة، فكلّ هذه الوقائع مبنية لِربط أواصر علاقة وطيدة بين النـص الروائي والمتلقّي لهذا النص.

ويظهر جليّاً في هذا الشاهد" فلسطين يا قطعة سما... وانتابته حساسية مفرطة ضربت قلبه وهزّت أوتاراً ساكنة جفّفها الخوف، كانت أيّام الإشتباكات والإجتياحات وصيحات القتلى والجرحى قد ابتعدت خلف ظهره ولم يبق في هذا الجوّ في ذاكرته إلّا لحن بِامتداد الأفق كصلاة زرقاء صيفية خارقة الحنان"[16].

يمثّل هذا النّداء صوت الآهات المتألّمة بِسبب المستعمِر الغاشم، الذي مارس سياسات القمع والتهجير وفرضَ عليهم الحصار والإعتداءات المتكرّرة، وضيّق عليهم سُبل العيش في ظل واقع يسوده الظّلم وانتهاك الكرامة، يتوارى السّارد عن أحداث القصّة، تاركاً المجال للأحداث كيف تُروى من داخل التجربة الإنسانية نفسها، فتتجسّد المعاناة بصوت الضحايا لا بصوت الرّاوي.

ننتقل في أجزاء الرواية إلى النوع الثاني الذي شكّل حضوراً معتبراً، هو السارد المتماثل الحكائي[17] ومثال ذلك: "لم يكن إلّا الإنفراج كما تصوّرناه، إذ بقي الحال على حاله، الرئيس محشور في زاويته محاصر ومحصور من كلّ جهة والقنّاصة في أعلى البنايات حول المقاطعة بِأكملها، ونحن المطلوبون لا نجرؤ على الخروج من موقعنا، ورام الله محاصرة عن كلّ قرية ومدينة وكذلك الدنيا بِأكملها(...) وازداد الحصار والتشدّد فازداد عدد العمليّات وَردّات الفعل... فالإقتراب من القائد يعني سلطة، يعني منصب يعني رتبة، يعني راتب، يعني وكيل لِوزارة ثمّ وزارة وكذلك السباق على الأخبار والتلفزيون"[18].

يحمل هذا المقطع الوقائع المستوحاة من التجربة الفلسطينيّة المأساويّة، تجربة مكلّلة بِجرائم العدو الصهيوني وردود الفعل المناقضة لهذا العدو، فالمقاومة بِعمليّاتها الإستشهاديّة تنعش الذاكرة الفلسطينيّة وتاريخها المكلّل بالإنجازات والبطولات العظيمة.

تعدّدت الأصوات السّاردة في رواية "ربيع حار" لِسحر خليفة التي جمعت بين السّارد المتباين الحكائي والسّارد المتماثل الحكائي، فهذا التناوب بين الصّوتين السّرديين لا يخلق فقط تنوّعاً في الأسلوب، بل يعكس أيضا طبيعة الواقع الفلسطيني في الرواية، حيث تتعدّد التجارب الفردية داخل واقع جماعي متأزّم، كما أن هذا التعدّد في الأصوات يُكسر مركزية السارد الواحد ويمنح الشخصيات هامشاً أوسع للتعبير عن ذاتها، سواءً عبر السرد المباشر أو عبر التمثيل الداخلي للأفكار والإنفعالات، وبذلك يُصبح السّرد في الرواية مساحة حواريّة مفتوحة تتقاطع فيها الأصوات وتتدّاخل لتعكس تعقيد الواقع وتعدّد وجهات النظر إليه .

فجاءت معظم الفصول بِلسان السارد المتكلّم أي اعتماد السارد المتماثل الحكائي في بيان أوجاع ذاكرته ومأساته اليوميّة تحت وطأة الإحتلال الغاشم.

كان زمن السرد بالنسبة إلى السّارد المتماثل الحكائي زمناً يبدأ بالحاضر وينتهي بالماضي بينما السارد المتباين الحكائي كان يمثّل لحظات الرجوع إلى الزمن الحاضر ليعيش المتلقّي لحظة

وقوع الأحداث وكأنّه يُعايشها ويتألّم لِوجع الشخصيات ويفرح لِفرحهم، خصوصاً شخصية "أمّ سعاد" صوت المرأة البطلة التي تحدّت الصعاب رغم قساوة الظروف، حيث بقيت مع ابنتها بعدما ذهب أولادها الذكور، فَمروان هاجر لأمريكا ومحمود استُشهِد بِعمليّة في غور الأردن وجميل وعماد سافرا بعيداً، وما بقي منهم إلّا سعاد، الفتاة المناضلة المساعدة لأمّها ووطنها.

ثالثاً: وجهة نظر الشخصيات بين المقاومة ورفض الآخر الصهيوني:

حملت الرواية تنوُّعاً كبيراً في وجهات نظر الشّخصيات، حيث لم تُقدّم المقاومة بوصفها موقفاً موحَّداً أو خطاباً واحداً، بل ظهرت بِاعتبارها تجربة إنسانيّة متعدّدة الأبعاد تتقاطع فيها الرؤى وتختلف حسب وعي كلّ شخصية فبعض الشّخصيات تتبنى المقاومة كفعل وجوديّ قومي يهدف إلى رفض الِاستيطان الصّهيوني والحفاظ على الهوية الوطنية، فتبدو مواقفها حاسمة قائمة على الفعل والمواجهة، في حين نجد شخصيات أخرى تعيش حالــة من التردّد أو الصّراع الدّاخلي إذ لا يكون رفضها للآخر الصّهيوني واضحاً بشكل مطلق، بل يتداخل مع الخوف أو الوعي بالواقع المعقد، ممّا يعكس هشاشة الوضع الإنساني تحت الضّغط السّياسي.

هذا التّعدّد في المواقف يجعل الرّواية فضاءً حواريّاً يعرض تعقيد العلاقة مع الآخر الصّهيوني، بين رفضه كقوة احتلال وبين استحضار آثاره في تشكيل الواقع اليومي، ومنه سنتطرّق إلى التبئير[19] بِمختلف أنواعه في الرواية في علاقته بالواقع الفلسطيني المأساويّ وذاكرته الموجوعة.

"بدأت أجمع الأقوال عن هذا الرجل، إذ فاجأني وأعاد إليّ ارتجاج المخ، ماذا يأكل، ماذا يشرب كيف يصلّي ولماذا يعيش؟ لديه حلم كالكابوس، أنّ فلسطين مهما صغرت، مهما كبرت مهما شابت مهما شاخت، لابدّ تكون، يناور يداور يميل يساراً ثمّ نحن اليمين صعوداً، هبوطاً حتى الموت، لابدّ تكون طيّب إذن ماذا عنّا؟ نحن المحاصرون في هذا السجن، في هذا الحصار وخلف الجدار بدون أكل، بدون ماء وحمامات في نصف بناية منسوفة والنصف الآخر كالغربال وحولنا مقبرة"[20].

تحمل وجهة نظر السّارد في هذا المقطع مقاومة الفلسطيني وصموده في ظلّ الظلم المسلّط عليه فمهما حاولوا طمسها إلّا أنّ فلسطين تبقى شامخة لا تسقط، يصف المنظر المهوّل بعدما حُوصرت منطقتهم، حصار الجدار والسجن الذي يحمل شتّى أنواع التعذيب والألم.

تأخذنا أحداث الرّواية بعدها إلى مُقتطفات من السّيرة الحياتيّة لعائلة متواضعة مُقيمة في بلدة عين المرجان في منطقة نابلس، بدءًا من تبيان التّناقض بين الأب(المهموم بِفلسطين وصراعها ضدّ المحتلّ) والولديْن(أكبرهما مشغول بالموسيقى والغناء والعيش كشابٍّ في مقتبل العمر يحلم بالسّفر وصغيرهما مهووس بالرّسم وهو في بداية تفتُّح وعيه بِمحيطه وشعوره بالحبّ وأسئلته عن الآخر، أي عن المستوطن وعن اليهودي والصهيوني...إلخ)، وصولاً إلى الانفجار الداخلي الذي تمثّل

بِانكسار الأب وأحلام الولديْن بعد أن وجدا أنفسهما في داخل الصراع والموت والعنف والشّتات. حدث هذا كلّه في مرحلة اجتياح المستعمِر الصّهيوني لِرام الله ومحاصرة المقاطعة (مقرّ الرئيس ياسر عرفات).

نقل إلينا السّارد كونه ذاتاً عالمة ومُدركة أكثر من الشخصية في التبئير المعدوم، البُعد الإنساني للفرد الفلسطيني بِهواجسه وأحلامه وتصرّفاته وسلوكه ونظراته الخاصّة بفلسطين والحياة والمجتمع والعلاقات، بالإضافة إلى عمق الصّراع والمواجهة وبداية الإِنحدار الذي عاشته العائلة الممزّقة بِتمزُّق الأحلام المختلفة والمتناقضة أحياناً، التي عاشها كلّ فرد منها على حِـدة وفي الجزأين تصوير حسّي للمشاعر والعادات والعلاقات والتّفاصيل اليوميّة لأناس بدوا وكأنّهم منذورون للقهر والتحدّي.

فالفرد الفلسطيني لا يُقدَّم كعنصر معزول بل كجزء من واقع جماعي مأزوم، تتحكم فيه ظروف تاريخية وسياسية قاهرة، وبذلك يُصبح السّارد العليم وسيطاً بين التّجربة الفردية والواقع الكليّ يربط بين الخاص والعام ويمنح القارئ إمكانية فهم أعمق لمعاناة الإنسان الفلسـطيني ليس فقط كضحية للصّراع بل ككائن انساني يعيش صراعا داخليّاً وخارجيّاً في آنٍ واحد.

هناك اهتمام واضح بالمرأة سواءً أكانت أمّاً أمْ صديقة أمْ زوجة، أمْ جدّة صقلتها الأيّام فاكتسبت حنكة وحكمة شكّلتا معاً مظلّة لِشباب مُساق إلى خراب روحيّ وذاتيّ، "حين خرجوا كانت نابلس تغرق في الصمت، لكنّ القصّة في حركة، أشباح الشباب بالعتمة تنقل صناديق المؤونة وعتاد الحرب، كلّ ما كان في حوزتهم كتن ضئيلاً: أسلحة خفيفة بدائيّة، خبز وحبوب وشاش وقطن ومطهِّر. مرّوا بِجامع كان مضاء والحركة فيه لا تهدأ شباب بِبدلات رياضيّة وستر من جينز أو البالات، أحداث صغار، كهول، كبار، وبعض الفتيات"[21].

نجد أنّ شخصية "أحمد" كشخصية رئيسية مُبئرة للأحداث الرّوائية كان لها حضوراً قويّاً من بداية الرّوايـة إلى نهايتها، فقد أعطت الرّوائية لأحمد العناية الكاملة ممّا جعلنا نُصنّفها ضمن هذا النوع من الشّخصيات، يُعدُّ أحمد الإبن الأصغر يبلغ من العمر أربع عشرة سنة، حيث ترعرع في عائلة بسيطة لأبٍ يعمل كمُراسل لِجريدة القدس، وأمٍّ ماكثة في البيت أعطته كامل الحبّ والحنان والعطف، أمّا والده فضل القسام فأراد من اِبنه أن يكون شخصية قويّة خصوصاً ما تعيشه فلسطين من إذلال ومهانة فُرِضَت عليها قسراً، كوّن شخصية صامدة من قساوة الحياة يقول: "أنا مش ولد، أنا كبرت في السجن... لاحظ الوالد أنّ ما عاد يتأتئ أو يخجل... اِندفع بِكامل أجنحته مثل الصاروخ نحو العسكر... اِختلّ العقل ثمّ تأرجح والرّوح تطير كطيّارة مثل الأوزون فصاح الوالد، اِبني استُشهد"[22].

يمثّل هذا الشّاهد صوت الفلسطيني الذي يكبر على الهمّة والصّمود، يقاسي حياة السّجون والمُعتقلات لِيندفع بِقوّة من أجل تحقيق الجهاد، فالإقرار بِضمير المتكلّم دليل على الاِعتراف بالأنا الفلسطينيّة، أمّا الاِستشهاد فدليل على رفض الآخر الصّهيوني وإثبات الوجود الهويّاتي وسط هول الحروب والمجازر الدّمويّة، وما يُؤكّد هذا القول حينما غاص السّارد في أعماق شخصية أحمد لِيُبَرِّر ذاته، قائلاً:

" أحسَّ أحمد أنّه منهم، من هذا الشعب، من هذا النبض المتسارع وأغاني الفداء والمعاني تنساب إليه فترفع روحه فوق عيبال فيغدو كالطائر بِجناحيْن ويرى الذئب مثل الشاشة ومعارك نبيلة واستشهاد، ونسي أمّه، ونسي أباه، وتذكّر ما لاقاه حين اعتقلوه بِسبب قطّة وحين شبحوه على دبّابة وجعلوا منه شبه وسادة ودرعاً بشريّاً يحميهم وخرقة إنسان في ذاك الوقت، في البداية ، بكى وخاف مثل الأطفال وتمنّى الاِختباء في بيت الدرج أو حاوية خلف عمارة... ثمّ مع الوقت، ومع التكرار ومع سماع كلمات الحقد من الجانبيْن بات حقوداً اِمتلأ بِغضب متفجّر يهزّ كيانه ويجعله يحسّ بأعصابه كتلة أوتار مشدودة، إذا ما نقرت ينفجر اللحن بِنغم صاحب معزوفة موت، وتذكّر أخاه شبه الميّت، وتذكّر إحساسه عند الركل تحت الصفعات والقنابل والرشّاشات وهو الأغول... وذاك جعله يحسّ أنّه محروس، ليس بِأعزل وهذا هو النصر هو في الجهاد، هو في الإيمان والموت النبيل والاِستشهاد"[23].

يحمل هذا الشّاهد نبرة السّخط على الوضع المزري الذي يتخبّط فيه الشّعب الفلسطيني شخصية تطوّرت وتكوّنت من الواقع الأليم، من شخصية مُسالمة، هادئة وخجولة إلى شخصية متهجّمة، شرسة وانفعاليّة.

فبالإضافة إلى الأحداث المتوالية إلّا أنّ هذه النُّقطة التّحوّلية لشخصية أحمد تُعتبر وضعية انطلاقيّة مركزيّة لِتباين الأصوات السّرديّة واختلاف وُجهات نظرها المختلفة، خصوصاً الصّوت النّسويّ الذي طبع أجزاء الرّواية، نضال المرأة الفلسطينيّة بِشخصيتها القويّة رغم الظّروف السيّئة التي تخبّطت فيها، فكيف عبّرت الأصوات النسويّة عن وجهات نظرها؟ وهل استطاعت أن تثبت ذاتها وسط زحمة الاِستيطان الصهيوني وسلطويّة المجتمع الذكوري؟

يقودنا هذ التساؤل إلى النوع الثاني من التبئير الذي شهد حضوراً مكثّفاً في الرواية هو التبئير الداخلي[24] لأنّها رواية تحمل تعدّد أصوات المشاركين في الأحداث والإدلاء بِشهاداتهم الحيّة المنبعثة من الواقع المرير، واقع الحروب والتّعذيب والمجازر والطمس، فمن أمثلة ذلك نجد: الشّخصيات الرّئيسيّة والثّانوية التي أدلت بِوجهات نظرها واصفةً لنا المآسي التي يعيشها وسط زحمة الهجمات الصّهيونيّة الدّمويّة، منهم سعاد، أمّها، لورا، مجيد، فضل القسام أحمد...إلخ

الذين جسّدوا حكاية ربيع حار، بِأزمنته وأمكنته التي تحمل ألف قصّة وقصّة تحملها ذاكرة أفرادها لِتُخلّد على صفحات التّاريخ مدوّنة رموز الأبطال المستشهدين.

يحمل كلّ راوي من الرُّواة المشاركين في الرواية حدثاً معيّناً يرتبط بالمأساة الفلسطينية منها هذا الشاهد:" اِبتدأ الضرب، لكن قبل ذلك قطعوا الأسلاك والتليفونات والأنترنات وكذا الجوّال وشبكة الماء والكهرباء والتلفزيون ولم يبق يصلُهم بالعالم إلّا أصداء كلاب تنبح وسط سكون ينذر بالموت.

بدأ مع الفجر في يومٍ ماطرٍ وعواصف وضباب كثيف يغطّي العالم بِدخان أبيض مثل الثلج فترى نفسك كالشبح يهيم في فضاء سحيق، حشود بِمئات الدبّابات تهدر في اللي عبر الضباب مع شقّ الفجر من عدّة محاور نحو الرئيس فوقف الحرّاس فوق البنايات بِانتظار البدء بِردِّ الهجوم لكن على من؟ ضباب أبيض وهدير رعود وسط الآلات والدبّابات والطيّارات وسكون مريب ينذر بالموت"[25].

يبيّن هذا الشّاهد نبرة السّخط المنبثقة من صوت فلسطيني مُحبّ لِوطنه ومُدافع عنه يُصوّر لنا خريطة فلسطين وهي مُشتعلة وسط الدّخان وصوت الدبّابات والحُرّاس الحاملين لأسلحة رشّاشة لا تفارقهم فهي الهواء الذي يتنفسُّونه، لأنّهم بِقتل نفس إنسانيّة فلسطينيّة تنبعث عندهم الحياة مرّةً أخرى، فالتبئير الداخلي لم يقتصر فقط على وصف الأجواء المأساويّة للشعب الفلسطيني، وإنّما تعدّاه إلى حياة المرأة الفلسطينيّة بين صراع الحياة القاسية وإثبات الوجود الذاتي.

فهاهي أمّ سعاد تظهر في كلّ أجزاء الرّواية بِشخصية صامدة لا تأبه للأحداث التي لا تجد من ورائها منفعة وإنّما تريد النّتيجة والحقيقة التي تجعل منها اِمرأة مُتملّكة لِذاتها وفارضة لِشخصيتها وسط قيود المجتمع وجبروت العدّو الغاشم، ماذا عليها أن تفعل سوى مقاومة الواقع بِتكريس مهنتها وجعلها أداة طيّعة تساعدها في حياة أفضل تُنسيها بعضاً من همومها ومشاق الحياة، خصوصاً بعد اعتقال زوجها تتأسّف لِحال بلدها وتبكي عليه قهراً، تقول: **" آه يا بلدنا! يا أمّ الشباب، يا ست الشباب يا ست الحارة، يا نوّارة، يا مختارة، وحدك في الهمّ؟ لست وحدك فألوف الناس، ملايين الناس الغلابى والمنكوبين قاعدين حدّك، أنظري حولك، نظرت حولها ورأت أكواماً بشريّة مكدّسة هنا وهناك في قاعة مدرسة حكوميّة حيث درست اِبنتها سعاد، كانت تأتيها في الحفلات وأعياد الأمّ والتخرّج.**

كانت سعاد تغنّي لِفيروزوتُنشد أناشيد وطنيّة، والآن سعاد في البريّة أورام الله، الله أعلم! أبناؤها كلّ واحدة في بلد، و أبو الأولاد مُرمى في السجن، وهي هنا بين الأكداس البشرية تسمع بكاء أطفال الناس ونواح الأمّهات واليتامى وعويل مصابين لم تصلهم أيدي الهلال وإغاثة

بِسبب المنع، منع التجوّل طاب وطال وامتدّ أيّاماً وأسابيع ثمّ أشهــر ولا شيء تحرّك في الأجواء إلّا شاشات التلفزيون وصوت الراديو... تظاهر تظاهر ثمّ همود... ثمّ جمود... جاء لِيقول: يا أمّ سعاد بنتك بِخير ومجيد صاحي و أنا رايح أقاتل في مخيّم جنين"[26].

اِصطدمت أمّ سعاد كصوت نسويّ يمثّل النساء الفلسطينيّات بِصفة عامّة والأمّهات بِصفة خاصّة كون المسؤوليّة واقعة على عاتقها، المنظر البشع للأكوام المُكدّسة هنا وهناك وللواقع المرّ المأساويّ الذي تمّ به وهي وحيدة مع اِبنتها سعاد تتخبّط في حياة التعاسة والمشقّة ترسم الضّحكة لِوجهها من أجل البقاء وإثبات الوجود.

ركّز السّارد على ذوات معيّنة، ساهمت في بناء متناسق ومنسجم لأحداث الرواية، فتارةً ينقل أفكاره وعلاقتها بِوجهة نظره الخاصّة، معلّقاً في بعض الأحيان عن الأصوات السّرديّة وتارةً أخرى ينقل وجهات نظر الشّخصيات للتعبير عن مكبوتاتها ومعيشتها الأليمة.

تتمثّل الحالة الثالثة من أنواع التبئير في: التبئير الخارجي[27] الذي يتعدّد من المشاهد الحواريّة بين الشخصيات فيما بينها، وكلّ هذه الحركة والحرّية يعطيها السارد للشخصية لكي تعبّر عمّا تريده بِطريقة مباشرة، ومثال ذلك هذا المشهد الحواري الذي دار بين أحمد وأمّ سعاد:

" فقدنا كلّ شيء يا أمّ سعاد... فقدنا كلّ شيء، البلد خرابــة، والناس طردوهــم من بيوتهم والفلّاحين خلعوا شجرهم ودمّروا البيوت ونسفوا المساجد وجرحوا المئات واعتقلوا ألوف، ما ظلّ ولا شيء نعيش من أجله، يا أمّ سعاد شو أحكيلك؟ و أنا في الطريــق راكــب في سيّارة إسعاف ومش قادر أسعف بني آدم شوارع فاضية ومحروثة ضاع أثرها صارت ولا شيء، صارت تراب، صارت ساحات وملاعب للدبّابات، ودوار البلد كلّه زهور صار مهشّم خلعوا البركة، كسروا النخيل... ما ظلّ رصيف، ما ظلّ دوار، ما ظلّ أضواء وكهارب.

قالت: إحك، إحك، إحك وفضفض لي وفش قلبك.

قال: الإسعاف، حتى الإسعاف ما خلص منهم، 20 سيّارة وأكثر كلّها بيضا وكلّها إسعاف بهلال أحمر وصليب أحمر سحلوها سحل ومشوا فوقها بالدبّابات زي الصياصير و أنا منها نجيت بِأعجوبة، يا أمّ سعاد شو أحكيلك؟!

قالت: إحك، إحك، إحك وفضفض لي وفش قلبك فزّعن الأرض وقال بِحدّة:

أنا رايح أقتل و أقاتل في مخيّم جنين.

نادت، نادت ولم يسمعها من ضجيج الناس، فأطرحت الرأس وهمست بهم:

يا حسرة عليك وعلى شبابك.

ها أنا أعود لِمفكّرتي حتى لا أفقد ذاكرتي وتعود إليّ الغيبوبة"[28].

ضيّق السارد حقل الرؤية وأعطاها للشخصيات وهذا التعبير بِحرّية كاملة عن وجهات نظرها. فالمشهد الحواري هذا حمل تبئيراً خارجيّاً بِعلم الشخصية لِحكي أقوالها التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوطن والإنتماء، حيث جعل أحمد من أمّ سعاد وهو يخاطبها كأنّها الوطن فلسطين أمامه يحكي لها معاناته وجروحاته المتعلّقة بما شاهده وعايشه متسائلاً مرّة بعد مرّة "يا أمّ سعاد شو أحكيلك؟" أي أنّ الحكاية لا تنتهي، غير قابلة للتلخيص، تطول وتطول لِتشكّل سير ذاتية لأفراد فلسطين شُرِّدوا وشُتِّتوا ولم يجدوا مأوى يأويهم.

كانت أمّ سعاد متحمّسة لِفضفضة أحمد لها، تستمتع إليه بِحماس لأنّها رمز الصمود والنضال فكيف لها أن تتحمّل قساوة الحياة في الواقع إن لم تستمع لِتجارب الغير وتُقاسمهم أحزانهم؟

تتوالى أحداث الرواية بالمشاهد الحوارية التي زادت الرواية رونقاً متناسقاً منها:

" بعد دقائق سمعت صاروخاً هزّ الحوش، فخرج أحدهم وعاد يصرخ، هذا المسكين إبن غزّة ! فخرجت حافية مكشوفة الرأس تتعثّر فوق الأوساخ والزجاج والوحل ووجدته هناك متناثراً مفغور البطن كلّ قطعة بِواد فأخذت تلطم وتصيح بِهستيريا: عريس جديد أوّل عمره! الله يساعدني ع هالمنظر، يا حسرة أمّك يا مسخم! وأخذت تلطم وتبكي وتهتزّ كالمجنونة، فأمسكها أحمد وسحبها وقال:

- **يالله، يالله على البيت.**

اِلتفتت إليه وهي تحملق ولأنّه يحملق هو الآخر وقالت بِجنون:

- **غلّى لي القهوة وما شربها، وحكت له الجرزة وما لبسها، عريس جديد بأوّل عمره حسرة أمّه!**

فهزّ رأسه وقال بِجمود:

يالله على البنت، هذا نصيبه"![29]

يرسم هذا الشاهد صورة المرأة الفلسطينيّة وهي تُواجه الصدمات، صدمة استشهاد ابنها فلذّة كبدها حيث يُشبّه السارد حالتها بالمجنونة التي تصرخ بِهستيريا لا تأبه لأيّ أحدٍ، فهذه الحسرة التي حزّت في نفسها، جعلتها تحاور ذاتها حواراً مونولوجيّاً داخليّاً ممّا جعل شخصيتها تنقسم لِصوتيْن متقاربيْن صوت الأمّ الحنون التي تتحسّر على ولدها وصوت المرأة الفلسطينيّة التي تقاسي ألم الحياة وألم الفراق.

حملت رواية "ربيع حار" لِسحر خليفة التّبئيرات الثلاث التي كانت نسبيّة وبِدرجات متفاوتة، غير أنّنا نلمس طغيان التبئير الداخلي في الرواية، وهذا بِبروز السارد والشخصـــيات في

الوقت نفسه والشخصيات تحمل علماً مثلما يحمله السارد، لأنّهم يسردون الوقائع الأليمة التي مرّوا بها، ويُقدّمون ما عايشوه وسمعـــوه، أمّا السارد فهو يحفـــر في مخيّلته لِيسترجع الأحداث الشّنيعة التي حدثت معه ويرسم بناءً مستقبليّاً لِحياته أن يقرّر الإستشهاد من أجل نصرة وطنه.

وتتمثّل الرُّؤية الدَّاخلية أيضاً في الرّوايات المكتوبة بِضمير المتكلّـــم والسّيرة الذّاتيـــة على ربط الأحداث وكشف أسرار الذوات المتلفّظة المتكلّمة، فالتّبئير الخارجي على وجه العموم إرتبط بالمشاهد الحواريّة، وحكي الأقوال الذي كشف عن الأصوات المتألّمة مثله مثل حكي الأحداث أيضاً وهذا لكي يبرز الصراع المتنامي في الرواية بإبراز وجهات نظـــر كلّ شخصيّـــة من الشخصيات الروائيّة.

لم تستعمل الروائية "سحر خليفة" أنواع التبئيرات الثلاث بِصفة الغموض والإبهام، وإنّما أعطت لكلّ حقٍّ حقّه، وذلك بِنقل الشخصيات لأقوالها في المشاهد الحواريّة، سواءً كان ذلك بِصوتها أو بِصوت السارد خصوصاً أنّه طغى صوت السارد "أحمد" وأصوات متعدّدة في الوقت نفسه، وهذا لِتاريخيّة الرواية التي تشترط بروز أحداث وأقوال الشاهدين.

يشعر القارئ عند قراءة "ربيع حار" بِنوع من التنظيم والتنسيق الشديديْن، كون سحر خليفة مزجت بين التاريخ والتخييل[30] رغم اختلاف الأحداث التاريخية والعاطفية والنفسية وتغيّرها في الرواية، وما زادها تشويقاً هو العنصر النسوي الطاغي على أجزاء الرواية "أمّ سعاد" الأمّ الصديقة والمستمعة للآخرين والمسؤولة عن بيتها ومعملها الصغير الذي تخيط فيه الملابس مُتصدّيةً للواقع المرير وللقيود الإجتماعية التي تفرض سلطتها عليها.

ومنه تحمل رواية "ربيع حار " أصواتا سردية متعدّدة ومكتظة بالدلالات النفسية والوطنية والرمزية، إذ تتداخل فيها أصوات الألم والبحث عن الهوية والوجود، وقد برز صوت المقاومة بوصفه صوتاً رافضاً للقهر والاحتلال، يحمل معاني التحدّي والصمود والإصرار على التمسّك بالأرض والحرّية، كما يتجلّى في الرواية صوت الدرس الوجودي الذي يكشف صراع الإنسان الفلسطيني مع الخوف والإنكسار ومحاولته المستمرّة لإثبات ذاته في واقع مليء بالقمع والإضطراب.

وتظهر كذلك أصوات الوطنيّة الحقّة التي تُعبّر عن الإنتماء العميق للوطن، وعن الإيمان بالقضية الفلسطينيّة بوصفها قضية وجود وهويّة، لا مجرّد صراع سياسي عابر، أمّا صوت التّحدي فيرتبط بقدرة الشّخصيات على مواجهة الألم والتّمرّد على واقعها القاسي رغم الإحساس بالهزيمة والضياع، ولهذا غدَّت الرّوايّة فضاءً رمزيا يكشف الألم المكبوت داخل الشّخصيات ويُحوّل المعاناة النّفسيّة إلى موقف مُقاوم يحمل دلالات الهوية والحرية والصّمود.

وخِتاما لهذا التَّحليل يُمكن الوُقوف على عدَّة خلاصات رئيسيّة تتمثَّل في:

أنّ روايّة "ربيع حار " لسحر خليفة، قدّمت تصويراً واقعيًّا لمعاناة الإنسان الفلسطـينيّ في ظّل الِاحتلال وما خلّفَه من دمار نفسيّ واجتماعيّ وسياسيّ، حيث برعَت الكاتبة في تصوير تفاصيل الحياة اليوميّة للشعب الفلسطينيّ بلغة سرديّة عميقة جمعت بين الوصف والحوار والمونولوج الدّاخلي، ممّا أتاح للقارئ التّغلغل في أعماق الشّخصيات وفهم أزماتها النّفسيّة والإنسانيّة، كما عكست الرّوايّة قضايا المرأة الفلسطينيّة وما تُعانيه من ظلم وتهميش، مُبرزة في الوقت نفسه قدرتها على الصمود والمقاومة وإثبات الذّات.

وقد ساهم تعدّد الأصوات السّرديّة وتداخل الأنساق الثّقافيّة والسّياسيّة والِاجتماعيّة في منح الرّوايّة بُعداً فكريّاً وجماليّاً مميّزاً، فجاءت الرّوايّة حاملة رسالة إنسانيّة ووطنيّة تُؤكّد أن القضيّة الفلسطينيّة ليست مجرّد حدث عابر، بل قضيّة مُتجذّرة ومُستمرة عبر الزّمن، من ثمّ يمكن اعتبار "ربيع حار" عملاً روائيّاً متكاملاً يجمع بين القيمة الفنيّة والبعد الإنساني والرُّؤية النّقديّة الواعية، وهو ما جعل من سحر خليفة واحدة من أبرز الأصوات الروائيّة المدافعـــة عن الهوية الفلسطينيّة والقضايا الإنسانية.

اِستطاعت الروائيّة سحر خليفة أن تنقل الواقع الفلسطيني بصدق من خلال تعدّد الأصوات والشّخصيات وتنّوع أساليب السّرد بين السّرد والحوار والمونولوج الدّاخلي، ممّا أضفى على الرّوايّة عمقاً فنّيًّا وإنسانيًّا واضحاً وقد ساهم توظيف الأنساق السّياسية والدينيّة والاجتماعيّة في إثراء البناء الرّوائي ومنح المتن الرّوائي أبعاداً فكرية وثقافية متعدّدة، الأمر الذي جعل "ربيع حار" رواية تجمع بين البعد الإنسانيّ والوعي الفكري والرّؤية النّقدية العميقة.

حمل السّارد صوت الفلسطيني الأليم المكلّل بالمآسي خصوصاً مآسي المرأة الفلسطينيّة التي تصدّت للِاضطهاد والظّلم والقهر بِفرض شخصيتها وذاتها بأنّها تستطيع وتستمرّ. فهي رسالة للقارئ على أنّ: حكاية الفلسطيني غير قابلة للتلخيص، حكاية تستمرّ وتتطوّر بِاختلاف الأحداث والأمكنة والأزمنة الخاصّة بها.

يُبرز توظيف تعدّد الأصوات في رواية "ربيع حار" لسحر خليفة عمق التّجربة السّرديّة واتّساع رؤيتها للواقع الِاجتماعي والسياسيّ، فالرّواية لا تعتمد على صوت واحد يُوجّه الأحداث بل تقوم على تداخل أصوات متعدّدة تُمثّل شخصيات مختلفة، كلّ منها يحمل موقفه الخاص ورؤيته للعالم.

فالصّوت في المعجم الرّوائي عند سحر خليفة مكتظ ومُلغز ورامز يتنوع بين: صوت المقاومة والوطنية والتّحدّي وصوت السلطة والهويّة والتمرّد والحرّية، وهذا بتداخل صوت المقاومة مع الوطنيّة والتّحدي ليُشكّل خطابا يعكس واقع الفلسطيني تحت وطأة الِاحتلال، حيث تصبح الشّخصيات حاملة لصوت الجماعة وهمومها الوطنيّة.

فالرّواية لا تُقدّم المقاومة بوصفها فعـــلاً سياسيّاً فقـــط، بل بِاعتبارها أيضاً دفاعاً عن الهويّة والكرامة والحرّية.

صوت السّلطة: من خلال نقد البنى السّياسيّة والاِجتماعيّة التي تُمارس القمع والعجز.

صوت الهويّة: إذ تحاول الشّخصيات التّمسّك بِانتمائها الوطنيّ والثقافيّ في مواجهة التّهميش والاِقتلاع.

صوت المتمرّد: ويتجسّد في الشّخصيات الرّافضة للِاستسلام، والباحثة عن التغيير وكسر القيود الاِجتماعيّة والسياسيّة.

صوت الحرّيّة: وهو المحور الأعمق في الرّواية، حيث ترتبط الحريّة بالتّحرر الوطنيّ وبالتّحرّر الفرديّ، خاصّةً تحرّر المرأة من القيود الاِجتماعيّة ولذلك فالرواية تُبرز تعدّد الأصوات داخل المجتمع الفلسطينيّ وتَحوّل السّرد إلى مساحة للصراع بين القمع والمقاومة وبين الاِنكسار والأمل.

الهوامش:

1- لقد لعبت المرأة الفلسطينية أدواراً كبيرة في مسيرة النضال التحرّري، حيث ظهر للوجود عام 1921 أوّل إتحاد نسائي فلسطيني، بقيادة زليخة الشهابي، أحد أبرز وجوه العمل النسائي العربي والفلسطيني... وقد عقد الاتحاد عام 1929 أوّل مؤتمر نسائي فلسطيني، حضرته ثلاثمائة ممثلة من مختلف مناطق فلسطين صدرت عنه عدة قرارات... تطالب فيها بوضع حد للهجرة الصهيونية والظلم الذي يلحق بالمواطنين من بطش الاِنتداب البريطاني. (مقال المرأة الفلسطينيّة... عبء الحمل وثقل الرسالة، الكاتبة "خديجة قانون" 2024/1/6 فلسطين بتوقيت مكّة المكرّمة 02:03م).

2- إدوارد سعيد:"الثقافة والإمبريالية"، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب بيروت، ط4، 2014، ص329.

3- تمثل كل هذه الاِنشغالات المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالهوية والوطن منبع صمود الفلسطينيين وقوّتهم، فالوطن أرض ما يملكه الفلسطيني "لأنّ فقدان الوطن والإحساس بالخسران، يمثل نهجاً مأساويّاً، كما أنّه يرتبط بِمحوريّة الوجود على أرض ما، والمطالبة بالإقامة في أوطان مستضيفة، وهذا ما يُعدّ انحرافاً عن طبيعة التواجد في موقع جغرافي يمثل وطناً، فالوطن أصبح حالة مُلتبسة بين وطن انتفى، ووطن غير مكتمل الملامح إذ هو ليس وطناً كاملاً، إنّه مكان للعيش فقط ينتمي إلى مجموعة عرقية أخرى، وهكذا فإنّ دراسة الشتات تذهب في أحد مستوياتها للتركيز على الفروقات بين هذه المجموعات"♦.

4- مصطفى الضبع:"الأديبة سحر خليفة - موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث"، الجزء الرابع ص37.

5- رامي أبو شهاب في الممر الأخير، سردية الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كولونيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الأردن، ط1، 2017، ص42.أحمد أبو مطر:"الرواية في الأدب االفلسطيني(1950-1975) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 1980، ص(283/282).

6- أحمد أبو مطر:"الرواية في الأدب االفلسطيني(1950-1975)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1 1980، ص(283/282).

7- ينظر: مي الصايغ، "المرأة العربية، الواقع والتطلّعات"، مجلة النهج، عدد 1995/41، ص107.

8- كانت قضية المرأة قد استغرقت مساحة ملحوظة من أعمال الكاتبة، ويمكن ترتيب أعمال سحر خليفة على الوجه التالي: لم نعد جواري لكم 1974، الصبّار1976، عباد الشمس1980، مذكرات امرأة غير واقعية 1986، باب الساحة1990 الميراث1997، صورة وأيقونة وعهد قديم2002، ربيع حار2004.

9- مذكرات اِمرأة غير واقعية، دار الآداب، بيروت، ط2، 1992، ص34.

10- سحر خليفة:"ربيع حار"، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 1999، ص78-79.

11- ينظر: بول ريكور،"الذاكرة، التاريخ، النسيان"، تر: د. جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009 لبنان بيروت، ص566-567.

12- سحر خليفة:"ربيع حار"، ص77.

13- سحر خليفة:"ربيع حار"، ص120.

14- المصدر نفسه، ص113-118.

15- المصدر نفسه، ص140

16- Narrateur hétérogiegetique : يكون السارد خارجاً عن عالم الحكاية ويكون السرد بضمير الغائب، يُنظر في كتاب جيرارجنيت، خطاب الحكاية "بحث في المنهج"، تر: محمد المعتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي الهيئة العامّة للمطابع الأميرية، ط2، 1997، ص258.

17- سحر خليفة، ربيع حار، ص116.

18- Narrateur homogiégetique : يكون السارد شخصية من الشخصيات الحكائية الموجودة داخل الحكاية، ويكون السرد بضمير المتكلّم. يُنظر في كتاب جيرارجنيت، خطاب الحكاية، ص258.

19- يمثل القضية الثانية التي تشكل الصيغة السردية، وبمقتضى السؤال الآتي: من يرى؟ أي من هي الشخصية التي تتحكم وجهة نظرها في المنظور السردي، ويشير جنيت إلى اختلاف الدراسات والنظريات حول ما اصطلح على تسميته بوجهة النظر، فهذا ما أدى إلى اختلاف المصطلحات وتعدّدها: وجهة النظر، الرؤية، المنظور التبئير. يُنظر في كتاب جيرارجنيت وآخرون،"نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، دار الخطابي للطباعة والنشر، ط1، 1989، ص59.

20- سحر خليفة، ربيع حار، ص93.

21- المصدر نفسه، ص91.

22- المصدر نفسه، ص56.

23- المصدر نفسه، ص28-122.

24- يتمثل في أنّ السارد يُشاطر الشخصية في وجهة نظرها، يُنظر في كتاب جيرارجنيت وآخرون، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، دار الخطابي للطباعة والنشر، ط1، 1989، ص78.

25- سحر خليفة، ربيع حار ، ص62.

26- المصدر نفسه ، ص74.

27- تتمثل هذه الحالة في كون أنّ السارد يكون أقل معرفة من الشخصية والذي يتحدث عمّا يراه ويسمعه من شخصياته. يُنظر في كتاب جيرارجنيت خطاب الحكاية، ص201.

28- سحر خليفة ، ربيع حار ، ص88.

29- المصدر نفسه، ص89-90.

30- التخييل اِصطلاحاً: وقد استعملت في مجال الخيال من أجل خلق تخييل وإبداع، وهي كما عرّفها حازم "والذي يدركه بالحسّ فهو الذي تتخيّله النفس لأنّ التخييل تابع للحسّ"، يعرّفه فضيلة الشيخ الخضر حسين بِقوله:"وجوه شتى ولا يصحّ المقام استيعابها وتقصّ آثارها... تكثير القليل وتكبير الصغير، وتصغير الكبير وجعل الموجود بمنزلة المعدوم، وتصوير الأمر بصورة حقيقية أخرى"[1]، وكما أنّ "التخييل يمكّن المبدع من أن يعرض المعـــنى الواحـــد في صورة خيالية متعددة والشعر واحد، فيجد السامع عند كل صورة داعية لذّة"[2].

31- سحر خليفة، ربيع حار ، ص85.

1- الدكتور عثمان عوافي: في نظرية الأدب في قضايا الشعر في النقد العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، د.ط ج1 2000، ص150.

2- فاطمة سعيد أحمد حمدان: مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة، عبد الحكيم حسان عمر رسالة دكتوراه الدراسات العليا، السعودية جامعة أم القرى، 1989، ص15.

قائمة المصادروالمراجع:

1- سحر خليفة:"ربيع حار"، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 1999.

2- سحر خليفة:"مذكرات اِمرأة غير واقعية"، دار الآداب، بيروت، ط2، 1992.

3- أحمد أبو مطر: "الرواية في الأدب االفلسطيني(1950-1975)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1 1980.

4- بول ريكور: الذاكرة، التاريخ، النسيان، تر: د. جورج زيناتي دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009، لبنان بيروت.

5- إدوارد سعيد: "الثقافة والإمبريالية"، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط4، 2014، ص329.

6- إيمان القاضي:"الرواية النسوية في بلاد الشام، السمات النفسية والفنّية"، 1950-1985، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1992.

7- جيرارجنيت وآخرون:"نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، دار الخطابي للطباعة والنشر،ط1 1989.

8- جيرارجنيت: خطاب الحكاية "بحث في المنهج"، تر: محمد المعتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي الهيئة العامّة للمطابع الأميرية، ط2، 1997.

9- الدكتور عثمان عوافي: في نظرية الأدب في قضايا الشعر في النقد العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، د.ط ج1 2000.

10- رامي أبو شهاب: في الممر الأخير، سردية الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كولونيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2017.

11- رانيا كمال:"اتجاهات فكرية في النظرية النسوية"، المجلة الثقافية الشهرية، عود النّد، ع86.

12- عبد الله محمد الغذامي:"المرأة واللغة"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2006.

13- فاطمة سعيد أحمد حمدان: مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة، عبد الحكيم حسان عمر رسالة دكتوراه الدراسات العليا، السعودية، جامعة أم القرى، 1989.

14- مصطفى الضبع:"الأديبة سحر خليفة-موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث"، الجزء الرابع.

الكاتبة خديجة قانون: مقال المرأة الفلسطينية.. عبء الحمل وثقل الرسالة، 2024/1/6فلسطين بتوقيت مكّة المكرّمة 02:03م.